

الأمطار تكشف المستور

جعفر الشايب

شغلت الآثار المؤلمة المترتبة على هطول الأمطار طوال الأسبوع الماضي اهتمام الناس في المجالس والديوانيات ووسائل التواصل الاجتماعي ومفحات الجرائد، كل ذلك بسبب ما خلفته من أضرار بشرية ومرورية وما كشفت عنه من ترهل وضعف في البنية التحتية القائمة. يدفع المواطن ثمناً عالياً وتكلفة كبيرة جراء هذا الدمار الناتج من فشل الإدارات المعنية في معالجة هذه الأزمة المتكررة في مختلف مناطق المملكة بصور مختلفة. ما تناقلته وسائل التواصل الاجتماعي من فيضانات متواصلة في الشوارع والأنفاق وغرق العديد من السيارات وتعطليها، وكذلك العديد من المباني كبعض المدارس والجامعات والمستشفيات، وتوقف الحركة المرورية في عدة أحياء، كل ذلك يمثل نعاجز من هذه الأوضاع السيئة التي سببتها الأمطار وعدم القدرة على تنظيم تصريف مياهها بصورة سليمة.

وحتى يتضح حجم المشكلة علينا أن نعرف أن (29) مدينة في المملكة مهددة بمياه الأمطار، وأن مشروعات تصريف مياه الأمطار لا تغطي سوى (50%) في المدن الرئيسة و(10%) في المحافظات – كما ورد في تحقيق نشرته صحيفة الرياض عام 2015م أي قبل سنتين. وهذا يعني أن أمامنا شوطاً طويلاً كي نتمكن من الوقوف على أبعاد هذه المشكلة ومعالجتها نهائياً.

الجميع يتتساءل، أين تكمن المشكلة ما دامت الأمطار التي تسقط في بلادنا موسمية وليس متواصلة، وأنها ليست بذات الكثافة التي تسقط على بلدان أخرى؟ ولماذا تتكرر هذه المأساة لدينا سنوياً دون أن نتمكن من إيجاد حلول جذرية حتى ولو تدريجية لتصريف مياه الأمطار؟ ولماذا تقف الجهات المعنية مكتوفة الأيدي وغير قادرة على المبادرة في القيام بأي دور وكأن الموضوع طارئ ومفاجئ؟ ثم إلى متى تستمر هذه المشكلة قائمة، وما هو المطلوب لعلاجها؟

بداية أقول، إننا طوال فترة هطول الأمطار لم نسمع من مسئول له علاقة بالموضوع أنه قام بصورة مباشرة بمشاركة الناس في هذه المشكلة عبر لقائهم والحديث معهم، والوقوف على موقع الحدث، إن غياب المسؤولين عن التفاعل والتعاطي المباشر مع المواطنين وإبراز ما يقومون به لمعالجة مثل هذه القضايا، وتوضيح خططهم وبرامجهم، ووعية المواطنين بالاحتياطات المطلوبة، ومساعدة العون مباشرة

للمتضررين سيساهم بكل تأكيد في تعزيز موقعيتهم وتحملهم دورهم الوظيفي.

العنصر الأبرز في استمرار هذه المشكلة سنويا يتركز في غياب التخطيط الاستراتيجي لقضية تصريف مياه الأمطار، فلا أعتقد أن هناك خطة بعيدة المدى لكل مدينة وقرية لمعالجة هذه القضية، يتم العمل عليها بشكل تدريجي سنويا. فمشاريع تصريف مياه الأمطار تبنى على عوامل لوجستية لا ترتبط بخطة استراتيجية متكاملة، بل على جاهزية المواقع مثلا، كما أن بعض المشاريع تتوقف عند نقطة معينة دون أن يتم استكمالها، فتكون عديمة الجدوى وتكون الشبكة المنفذة فيها غير ذات فائدة.

مشكلة أخرى هي في ضعف الرقابة على تنفيذ المشاريع، وحيث إن هذه المشاريع تحت أرضية وتتطلب دقة وإشرافاً ومتابعة عالية في تنفيذها كي تقوم بالدور المطلوب، إلا أن غياب ذلك ينبع عنه عيوب كبيرة في الشبكات تبرز وقت الحاجة لاستخدامها. فهي كثير من الأحيان لا تراعي مناسبات الميلان في الشوارع بشكل دقيق، وكذلك عدم الاهتمام بحجم أنابيب الشبكة وطرق تنظيفها وصيانتها دوريا، حيث تتعطل بعض نقاطها مما يؤثر على مسار الشبكة ككل.

ثالثاً عناصر هذه القضية هو غياب التخطيط المسبق لحالات الطوارئ، فمع تقدم وسائل التقنية الحديثة والقدرة على المعرفة المسبقة للأرصاد الجوية بصورة تقريبية، إلا أن الكل يتغافل بمياه الأمطار وكميتها وكأنها لم تكن متوقعة أصلا. فمن المفترض أن تكون هناك جاهزية قصوى عبر توفير الآليات والمعدات اللازمة، وإغلاق الشوارع والأفاق المحتمل ارتفاع منسوب المياه فيها، واستخدام وسائل مناسبة وكافية لنزح وشفط المياه. وفي بعض الأحيان يكون هناك سوء تنسيق بين القائمين على شبكات الصرف الصحي وشبكات تصريف مياه الأمطار بحيث تكون هناك مياه راجعة ومتداخلة مع الشبكة الأخرى، مما يزيد الأمر سوءاً.

إن مشكلة بهذا الحجم وهذه الخطورة والأهمية البالغة بحاجة إلى مشروع وطني شامل تتكفل به هيئة عليا مستقلة تأخذ على عاتقها التكفل متخصصة في هذا المجال وتدرس التجارب المحلية والإقليمية والعالمية وتضع لذلك خططاً استراتيجية واضحة.

إن التداخل القائم في مسئوليات التنفيذ والمتابعة والصيانة بين عدة جهات وأمانات هو ما يجعل الموضوع معوماً، وغير متقدم، فمع التوسع العمراني والنمو السكاني سنظل نلهث ركضاً لمتابعة ومعالجة الاحتياجات المتزايدة من شبكات تصريف مياه الأمطار وخاصة أن الفارق كبير بين ما هو قائم وما هو مطلوب. لا شك أن مشروع استراتيجياً كهذا يستحق كل اهتمام من المسؤولين لحماية الأرواح والأملاك ولتسهيل حياة الناس والاستثمار في الأمطار بالطريقة الأمثل والاستفادة منها بما ينفع الناس.